والصغير يكسوه غبرة أو كدرة أو صفرة وذلك بقدر ما عند الآخر من بشرة حمرة تعتريه بسر
يا بني وإذا ورد عليك خبر غير سار من وجه المحب يعود منقبضا بظاهر الانكار
وربما ظهرت على وجه غير محبك أمارات الاستبشار وأعنه المحب من غير المحب بهذين الاعتبارين
يتبين لك ذلك في الحال بل في كل اختبار يا بني ومن رأيته يرحل عليك في كل
يوم بسمة ويكثر ذلك منه الى بعد المرة فتعرف أنه يشير بالمحبة في جنابك فقطع بحرمتك
الى بابك يا بني وإذا أردت اختبار جلسائك وخاصتك وأوليائك هل هم متوافقون
بقلوبهم جميعا أو مختلفون فيما بينهم إذا عرضت لاحدهم عندي حاجة وتكلموا فيها
وبادروا بأجمعهم الى استخلاصها وتلافيها علمت أن قلوبهم متوافقة وأحوالهم بينهم صالحة
صادقة وكذلك إذا أشار أحد منهم برأي ووافقوا عليه لا ينفرون عنه إلى غيره وذلك
فيما بينهم أو بعضهم أو بعضهم فتعلم أن خواطرهم مجتمعة وعلى الموافقة منطبعة وإن اختلفوا
في آرائهم وتعرفت أهواؤهم فتعلم أن العداوة بينهم قائمة وأحوالهم بينهم غير متلائمة
يا بني إذا رأيت وزيرك محبا في الشكر والثناء عليه أكثر مما عليك وميل الناس
إليه أكثر مما إليك فتعلم أنه مفرط في أموالك وأمور مملكتك غير ناصح لك في خدمتك
فإن رأيته أنه من يكون محبا في الشكر والثناء وبرأ من ذلك بعضه فيه الأمن الى فضله
حوائج الناس بل تغ خجلا منك وتحطط من أنا منك لأن محبته في الثناء عليه لا يبرر حاجة
من قصد إليه فيغيب عنه وجه الصواب ويتسع خوفه من هذا الباب وإن رأيته محبا فيما
يصلح عليك لا عليه فهذا في الحقيقة يعود بالمنفعة إليك لا إليه فتعلم أنه لك محب ناصح
ووزير غير مفرط صالح يا بني وإذا رأيت وزيرك تكرهه الخاصة والجلساء
والقواد والأجناد والكبراء والأمراء آخر في جنابه بذميمة فتعلم سر فيه فتعلم أنهم إنما
كرهوه على نصيحتك وتشديده عليهم في خدمتك يا بني وإذا رأيت وزيرك
محبوبا لجميع فلتة ترا في حسن صدره وموارده مع أنه لا يستخرج منك حقوقهم الواجبة
الخاصة منها والعامة فتعلم أنه مفرط في أمورك كلها مما وجب عليه في الحرمة فلها
وجلها فإذا كان على هذه الحالة فاختبر محبته لك تجدها مفضية لتضييع خدمتك
وأما كاتب سرك فاعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تتبع بدو كاتبه من المباشر
لهم أمرك إذا كان فيه أن يعجل خطأ فهو كامل على كل حال وهو أن يكون صحيح المذهب قليلا
بالعو قليل الحوة والإعجاب ومن ذوي البيتات والأحساب فإنه يا بني
إذا كان صحيح المذهب رفيع المنصب فتتبع سريرته فإذا رأيته تكلم بكلمة ولم ينطق بها
بصدق لا تأخذه في كلمة الحق لومة لائم فتعلم قوة نفسه في الصدق وأنه كلما يصدر
منه وتحقق وأما كونه قابلا بالحق فلا يميل في شيء من أقواله الى الكذب ولا يقف به
صحيح مذهبه الى شيء من الريب فإن صحة مذهبه تؤديه الى كلام الحق وقول الحق تؤديه الى

كتمان

كتمان السر فإنه يخشى أن أفشى السر أن يظهر عليه فلا بد في ما يصير إليه فيتحمل عنده من
بصرفه وصحة مذهبه تدعوه الى أن يقول الحق ليعاقب عليه فيخاف من العقوبة فيكتم السر
الذي أسر إليه وأما كونه قليل الغرابة والإعجاب فلأنه إذا كثرت غرابته لا يأمن أن يستغلق
أمرهم للكلام والاختيار ويدعو من أسر إليه ما تأمن باستتار فلا يأمن أن يفشي صريعة
ذلك الذي أودعته فلا يأمن أن يسمعه وأما كونه من ذوي البيتات فلأنه يحافظ على
بيتته في كل الحالات مع ما قدمناه من صدق المقال وصحة المذهب المانع من الاختلال مع
فيمنعه ذلك من افتضاح الأسرار والأخذ بالاستتار يا بني وإذا رأيت كاتب
سرك كثير المالقة للناس طويل القصار لا يرجع الى قياس ولا يتحفظ في كلامه ولا يكف لسانه
في جلوسه وقيامه ويزخرف لك أمور الرأي أنه ينفعك بها وهي مما تخبر الغير بسببها
فهذا غير محافظ على دينه ومن لا يحافظ على دينه لا يحافظ على سرك فكيف تشاركه في
أمرك يا بني وإذا رأيت وزيرك أو جليسك يمدح كاتب سرك في الغيبة والحضور ومن
ويظهر محبته للجلساء والجمهور فتعلم أن ذلك إنما يرفع له الأسرار ويعاوضه فيما يلقي إليه
من الأخبار يا بني وإذا أردت أن تطلع على ما هو عليه كاتب سرك من كتمان خبرك
وسرك فتحدث معه بين أهل بلدك الشرفاء والفقهاء والفضلاء والأشياخ والوجوه
والثقات في كل واحد من هؤلاء المذكورين ما يخصه ويبعد من احتقار أو ولاية أو ما يجر الشنآن
مع بسببه فإن أذاعته للأنام أن تدعو الى الشراهية بالانتشار فيبادر أهل البلد بالتفتيش
يعرفهم بذلك على كل تغير ثم تبعث من يسأل في بلادك عما أودعته من ذلك وتحدث فإن
ظهر هنالك فتعلم أنه غير محافظ لسرك وسره لا أذاعته سرك أمرك وأيضا
يا بني إنه إن كان لكاتب سرك أعداء وبلغه منهم أذى وأراد يفتح بهم بلا شيء
في ذلك أن فيما بينهم وعزه جعفو بينهم وتناديهم فإن شاهية البغضاء تدعو الى الا
فشاء لذلك لمداهم من المهالك ثم تجعل من يبحث أيضا عليه هل أذاع سره المودوع
إليه فإن أودع سرك لا جرم أن يتفشى ويتمادى ويتفشى فإن الأسرار إذا انفلتت فشت
وبانت وخرجت من حيث كانت فإن كتم ذلك فتعلم أنه كاتم لسرك وإن أفشاه فتعلم
أنه مظهر لأمرك وإن كتم مثل هذا فهو محافظ لأسرارك غير مذيع لأخبارك وأما
فطانته فاعلم يا بني أنه إذا أردت أن تختبر فطانته فتتبع سر فيه تخرشا شيئا واحكم
على اختباره حكما ياسيا وانظر الى أحواله فإن كان يميل الى خطة القضاء ويعتني بها
غاية الاعتناء فتعلم أنه رقيق الدين وأنه في أحواله ليس بالمتين وعلامة ذلك يا بني
إذا ندبته لقضاء المرة بعد المرة وتطمع له بذلك وجوه المسرة فإنه لابد أن يتنفع بالقو
وإن كان من بذل العقل لأنه إذا أظهر المحبة لها أو أوهله عليه أنه يبرر بها فلا تفرع
مثله فنكر عليه القول وزاد له بنا له وتنظر له لمريد مكانه فإنه لا يمنع لك بالكلية